سومر

الجزء الاول والثاني ـ المجلد السادس والاربعون

تاريخ الخيـل والفروسيـة في العراق القديم

الأستاذ • رضا الهاشمي

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

تقديم

منذ نيّف وعشر سنوات نشرت بحثاً عن الابل في العراق القديم من حيث بدايات تدجينها واستخدامها وفوائدهـا واهميتها في تاريخ الحضارة القديمة . واتماماً لفوائد ذلك البحث نتناول في بحثنا هذا تاريخ الخيول وبدء معرفتها واستخدامها في العراق القديم ، باعتبارها من حيوانات النقل والسحب والركـوب منذ مطلع الألف الثاني ق . م .

ويرتبط بالخيل موضوع الفروسية واهميته العظيمة في ميدان الحروب القديمة ، حيث يرجع معظم الباحثين لاستخدامها في الحـروب الفضـل الكبـير في تحقق الانتصـارات العسكـريـة الحاسمة للآشوريين ، اضافة الى ما يحتله الفارس من مكـانة متميزة عبر الفترات التاريخية .

يلزمنا الخوض في هذا الموضوع لمناقشة النقاط التالية التي تشكل سياقات متداخلة ومكملة لبعضها مثلما تعتبـر مدخـلاً ضرورياً لتفحص جـوانب المـوضـوع المختلفـة والغـوص في تفاصيله :

١ ـ موطن الخيل وتاريخ تدجينها

٢ ـ بدء وكيفية معرفتها في العراق

٣ ـ العـلاقة بينهـا وبين الأخـدر والحمار بـاعتبارهـا جميعاً حيوانات متشابه في هيئاتها عنـد رسمها او نحتهـا ، واشكال بقاياها العظمية ، واستخدامها .

٤ ـ طرائق استخدام الخيل فيما له علاقة بمهارات الفروسية .

وسنجتهد في هذه الدراسة لاسناد معلوماتنا بأوثق المصادر وهي المخلفات الاثرية من بقايا عظمية ورسوم ومنحوتات اضافة الى الثروة الكبيرة من معلومات النصوص المسمارية التي تعين على تتبع الجوانب التفصيلية للموضوع .

١ ـ موطن الخيل وتاريخ تدجينها :

أن رسوم الكهوف التي تركها لنا انسان العصور الحجرية القديمة تشـير بوضـوح الى ان الخيول البـرية كـانت من بين الحيـوانات المختلفـة التي سعى الانسان لاصطيـادها (١) . ولكون هذه الكهوف تقع في السلاسل الجبليـة الكبيرة لاوربـا واسيا فالراجح ان هذه الخيول كانت تنتشر بحالتها البرية الى الشمال من هذه السـلاسل في اوراسيـا (٢) . وربما تسببت اعمال الصيد في تقليص اعداد الخيول البرية ، وهناك مناطق قليلة ، وبخاصة في شرق اسيا ، تتـوفر عـلى تجمعات للخيـول

1-Pfeiffer,John: The Seasrch for Early Man.Cassell-Londdon.1969.P.21

صور محفورة عـلى جدار كهف لاسكـوس في فرنسـا لسرب من الخيول من نوع**Poney**(صغيرة الحجم) ويرجـع زمنها لعشرين الف سنـة ماضيـة . انظر ايضـاً صـور الخيـول عـلى الصفحـة ص١٠١ ، كذلك منحوته من العاج لحصان ص١٠٩ وقد جاء معظم هذه الرسوم من سلسلة الكهوف الفرنسية الاسبانية .

2-Brothwell,Don and Higgs,Eric (Eds): Sience in Archaeology.Thames and Hualson 1969.P.268

البرية . (٣)

كانت اراء الباحثين تحوم حول البقايا العظمية التي اكتشفت في آناو في الصين وتبه سيالك في اواسط ايران ، باعتبارها بقايا عظام خيول . ولكن ثبت حديثاً انها عظام حمر وحشية من نوع الاخدر ، مما يبعد هذه المناطق عن المراكز الاولى لتدجين الخيل .(٤)

ويبدو واضحاً من الموطن الاول لتدجين الخيل وهو هضاب اوكرانيا(٥). كيف بقيت مناطق شرق اسيا تحتفظ باعداد ملحوظة من الخيول البرية .

ان الخيول هي من احدث الحيوانات في قائمة الحيوانات المدجنة ، ويتراوح اقدم تاريخ لوجود الخيول بموجب الدلائل الاثرية لما بين ٤٠٠٠ ـ ٢٠٠٠ سنة ق . م ، وذلك بدلالة دمية رأس حصان خفاجي وهو من مواقع حوض نهر ديالى في العراق ، والتي تؤرخ لعصر جمدة نصر (اواخر الالف الرابعة ق . م) . ولكن كثيراً من الشكوك تحوم حول هذه الدمية ، والراجح انها تمثل الاخدر اكثر من كونها لحصان ، بخاصة وان الاخدر عرف واستخدم في العراق القديم قبل غيره من المناطق . (٦) . وبسبب التشابه الكبير بين الاخدر وبين الحصان ، يصعب كثيراً التمييز بينهما في الاعمال الفنية وبخاصة الدمى ، وان احسن الرسوم التي امكن في ضوئها التمييز بين هذين الحيوانين هي المنحوتات البارزه لقصر الملك آشور بانيپال الشمالي في نينوى والتي سنتعرض لها لاحقا . (٧) .

اما اقدم بقايا عظمية فأنها جاءت من موقعين مختلفين في اوكرانيا ، وكانت بعض العظام لخيول مدجنة . ويرجع زمن احد الموقعين الى تاريخ ٤٣٥٠ ق . م بينما يقدم نموذج آخر زمناً يرجع لسنة ٣٧٢٠ ق . م . (٨)

ان سبب جعل عظام اوكرانيا تمثل النماذج الاولى للخيول المدجنة يرجع للشك الذي يحوم حول كل من دمية خفاجي وعظام سيالك ، التي حتى لو كانت لخيول ، فأنها لا تجزم بكونها مدجنه ، كما اشرنا الى ترجيح البعض لكونها تمثل حيوان الاخدر(٩) ومع كل هذه الاحتمالات ، فأن احتمال وجود الحصان في العراق للفترة ما بين عصر جمدة نصر وبداية عصر فجر السلالات ، يبقى قائماً . (١٠) .

يتضح مما سبق ان الخيول حيوانات أسيوية اوربية ، كانت تعيش بحالتها البرية في مناطق الهضاب الى الشمال من السلاسل الجبلية الكبيرة لهاتين القارتين ، وأن تدجينها حصل لاول مرة في اوكرانيا من مناطق الهضاب الاوربية .

٢ ـ بدء وكيفية معرفتها في العراق

اذا كان الموضوع الاول لا يهمنا كثيراً عدا كونه يؤشر المناطق الاولى لأصول الخيل وتدجينها ، وان ذلك وقع بعيداً عن مراكز الحضارات القديمة في الشرق الادنى ، فالذي تهمنا معرفته

3-ibid.

4-Moorey,P.R.S.:« Pictoriol Evidencc for the History of Horsc-Riding in IRAQ befor the Kassite Period»
IRAQ.1,1970.P.36

5-Berger,R.and Protsch,R.: «The Domestication of Plants and Animals in Europe and the Near East» in: Approaches to the Study of the Ancient Near East.
Avolume of Studies offercd to Ignace Jay Gelb.
on the occasion of his 65th Birthday .october,14,1972.
(Orientalia, vol. 42-1973) P.222

وعلى العموم فأن دراسة هذين الباحثين تقدم تواريخ ومواطن جديدة لتدجين النبات والحيوان . انظر بشكل خاص خلاصة البحث على الصفحة (٢٢٢) ، والجدول الملحق الخاص بانواع الحيوانات المدجنة ومواطن تدجينها وتاريخ ذلك على الصفحات ٢٢٣ ـ ٢٢٧ ويتفق طرح هذين الباحثين من رأي آخر يجعل من القفقاس وجنوبي روسيا موطنا لتدجين الخيل . انظر :

Brothwell,Don and Higgs,Eric:op.cit.P.268

6-Berger and protsch:op.cit.P.225; Speisere, E.A.: Excavations at Tepe Gawra.
vol.I,Philadelphia,1935.P.162

7-Moorey: op. cit.P.37

8-Berger and Protsch: op. cit. P.222

9-Moorey, op. cit. P.36

10-Speiser: op.cit. P.72

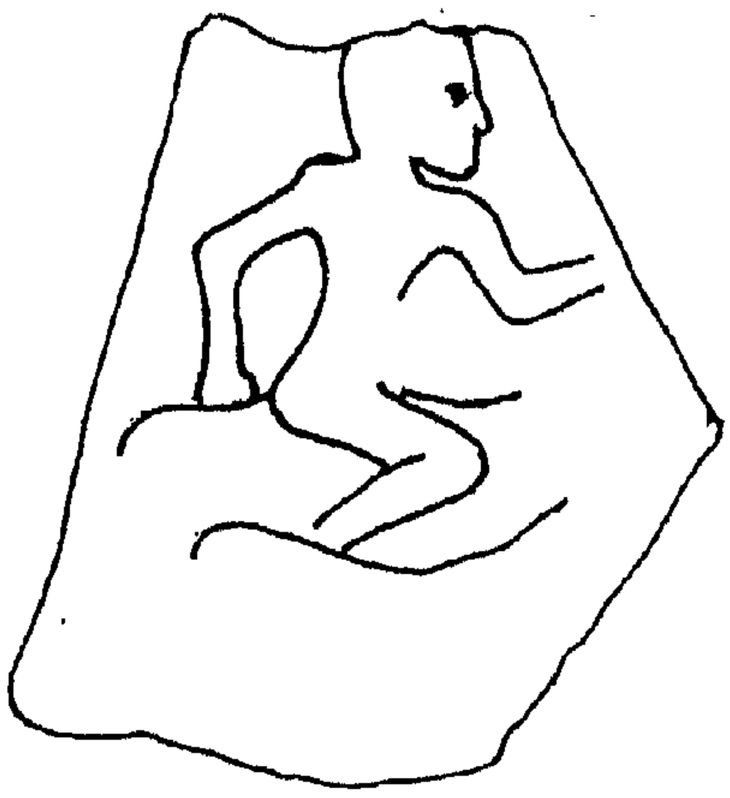

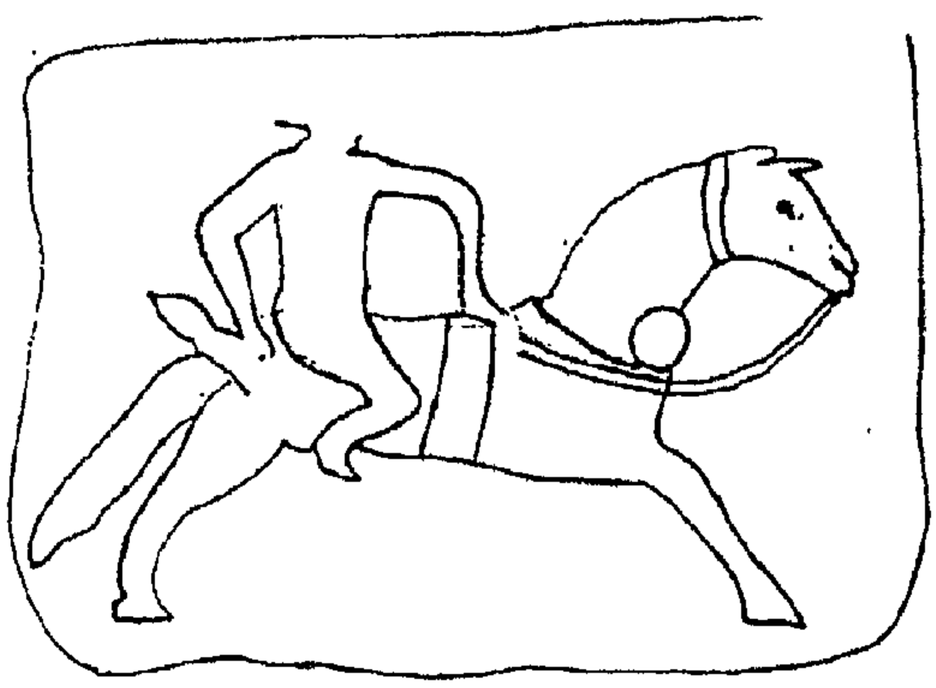

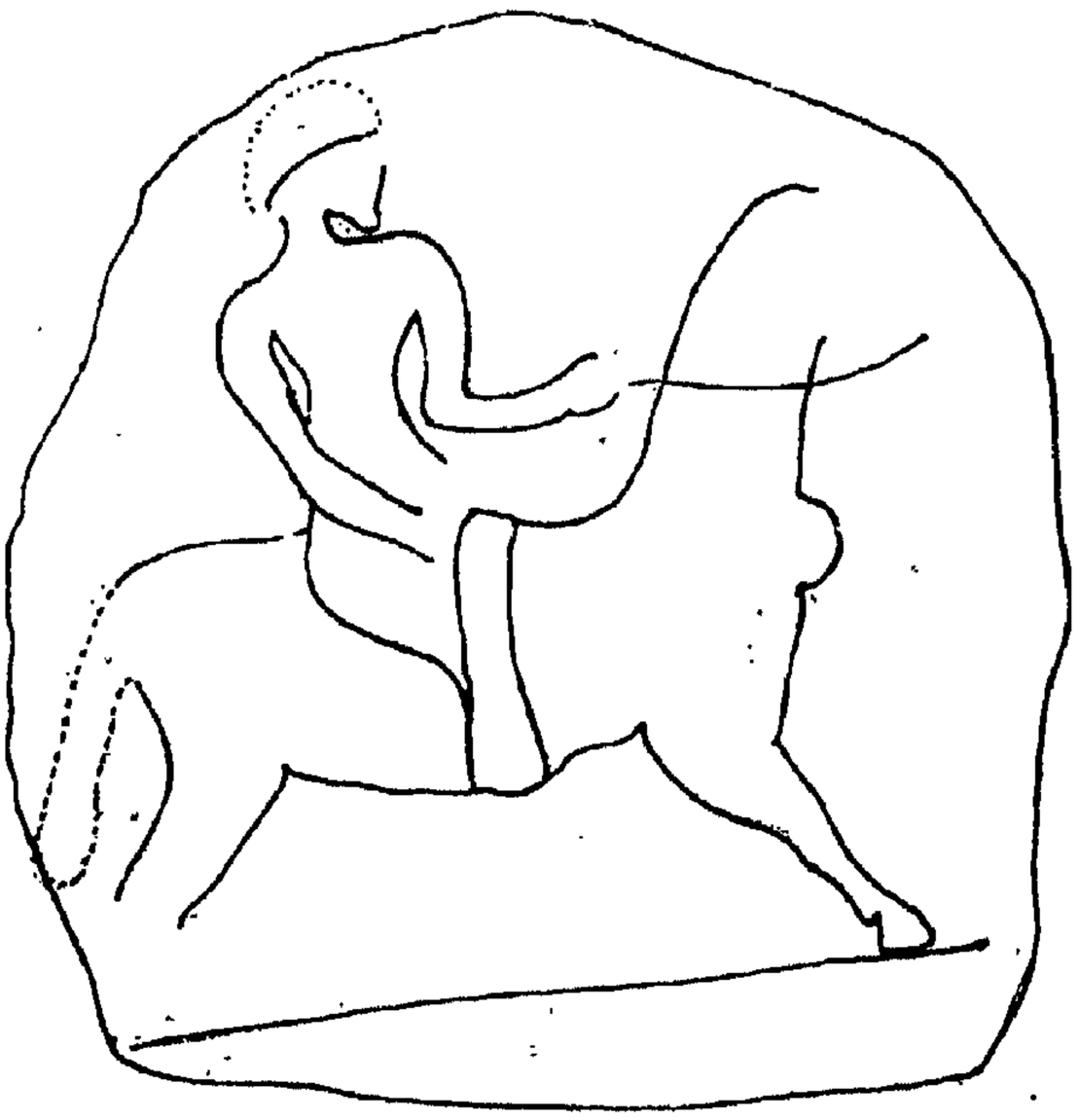

-١-

-٢-

يتعلق بكيفية وزمن معرفة العراقيين للخيول ، لكون العراق واحداً من اولى المراكز الحضارية في الشرق الادنى القديم .

ان الذي عرضناه بخصوص دمية خفاجي اوضح الشكوك التي تحوم حولها ، لذلك سنتجاوزها صوب الاثار الاخرى التي تخص بدايات ظهور الخيل واستخدامها المؤكد في العراق يعرض Moorey

في دراسة هامة له عن الخيل ، لعدد من القوالب الطينية التي تكشف عن صور خيول مع فرسان على ظهورها ، حيث يتأكد لنا استخدامها كحيوانات مدجنة للركوب . (١١) ان اللوحات التي امكن تشخيص جنس الحيوانات فيها ثبت انه حصان (ذكر) كما يتميز الحيوان بحجمه الصغير الذي يقترب كثيراً من حجم فصيل من الخيل يتميز بحجمه الصغير يعرف باسم . Poney .

اما تاريخ هذه اللوحات فيمتد ما بين اواخر سلالة اور الثالثة والى عصر ايسن لارسه او العصر البابلي القديم ، اي بحدود (٢١٠٠ ـ ١٦٠٠ ق.م) وان معظمها جاء من مدن وسط وجنوبي العراق . (١٢)

وهكذا تكشف لنا هذه الدراسة عن بدايات استخدام الخيول المدجنة في العراق القديم ، وانها استخدمت للركوب قبل الاشكال الاخرى من الاستخدامات .

ان الامر الذي ينتظر البحث والتدقيق يتمثل في زمن معرفة العراقيين للخيول البرية ، الذي يقع قبل زمن هذه اللوحات على وجه التحقيق . كما ان هذا الموضوع يدفعنا لمعرفة الحيوان الذي يشبه الحصان كثيراً والذي ظهر ممثلاً في عدد من اللقى الاثرية وهو يسحب العربات او استخدم للركوب ، مع العلم ان زمن هذه اللقى الذي ينسحب بالضرورة على الحيوان ايضاً يسبق زمن اللوحات التي تمثل الخيول . والمهم في هذا السياق الاشارة الى ان اعمال النحت والرسم والتصوير غير الدقيقة قد تخلط بين اشكال اربعة حيوانات استخدمت لاغراض متقاربة في تاريخ الحضارة العراقية القديمة ، مثلما تقترب من بعضها في هيئاتها العامة ، وهي الاخدر والحمار والبغل والحصان . (١٣) لذلك يتوجب علينا الاحتكام على دلالات أخرى حول بداية معرفة العراقيين بالخيول وكيف كان ذلك حيث تبرز في مقدمة هذه الدلالات المصادر اللغوية

ان الدراسات اللغوية للالفاظ المتعلقة بتسمية الحصان تتفق بأن لفظه ANSE-KUR-RA (١٤)

وكان اول ظهورها في نصوص سلالة اور الثالثة الاقتصادية من زمن الملك شلكي رغم ورودها باعداد قليلة . وعرفنا في ضوء هذه النصوص ان الخيول كانت توضع تحت رعاية اشخاص خاصين ، وتطعم بالحبوب ، وربما بسبب ندرتها واهميتها كان يذكر جنسها وعمرها ، مثلما يجري ذلك بالنسبة للخيول الاصيلة حتى الوقت الحاضر . (١٥)

ان معلومات هذه النصوص تحسم موضوع بدء معرفة العراقيين للخيول وترجعها الى زمن شلكي (ثاني ملوك سلالة اور الثالثة حوالي ٢٠٥٠ ق . م .) اولاً ، وانها كانت مدجنة بدلالة رعايتها واطعامها والتأكد من عمرها وجنسها حيث يتعذر التحقق من مثل هذه الامور مع الخيول البرية . ومع ذلك فأن هناك اشارة الى اللفظة نفسها في الرواية الاكدية لملحمة جلجامش حيث يرد ذكر الحصان في علاقة مع إنانا (عشتار) كما يذكر له في فقرة اخرى ، جناح كالنسر ، (١٦) والراجح ان هذه الاشارة تتعلق بانواع برية من الخيول لاقتران ذكرها بالآلهة ووصفها في هيئة غير حقيقية ، وكذلك لانعدام اية اشارة تقرنها بالمدجين .

ورغم اهمية هذه الاشارات ، لكننا لا نعرف على وجه اليقين كيفية الاستفادة من الخيول ، فهل استعملت للركوب أم السحب ام لاغراض التسفيد بغية الحصول على البغال علماً ان الدلائل اللغوية تشير الى ان معرفة العراقيين للبغال لم تسبق العصر البابلي القديم ، حيث وردت الاشارة اليها في نصوص ماري ، (١٧) اي بعد زمن معرفة العراقيين للخيول المدجنة .

تبرز الاهمية الاستثنائية لنصوص ماري وكرانا وجفار بازار ، لانها تعد اول واقدم النصوص التي تتحدث عن كيفية استخدام الخيول في العراق القديم . ففي رسالة من شمشي ادد الاشوري يطلب فيها من يسمح ادد الذي كان يحكم في ماري ، ان يرسل له بعضاً من بغاله وخيوله وكذلك بعض العربات لاجل الاحتفال باعياد اكيتو في اشور . (١٨)

وهكذا يكشف لنا هذا النص الذي يرجع زمنه لحدود عام

11-Moorey: op. cit. pp. 36'46

12-ibid.P.41; Speiser: op. cit. P.70

13-Speiser: op. cit. P.70

14-Labat,R.: Manuel D'Epigraphie Akkadienne.Paris,1952. Sign no. 208

15-Civil,M.: «Notes on Sumerian Lexicograply» Jcs. 20 (1966) P. 122.

16-ibid.

17-CAD., I-J,P.141; Stephanie Dalley: Mari and Karana . Two old Babylonian Cities.Longman, London and New yosk. 1984. P. 165

18-Dalley,S.: ibid. P.161

١٨٠٠ ق .م .عن استخدام الخيول لجر العربات في الاحتفالات الدينية ، كما يشير الى كون مدينة ماري من مدن تربية الخيول .

وفي رسالة اخرى معنونة الى زمري لم ، عزفنا في صُوئها ان الملك ارسل حصاناً هدية الى امير احدى المدن الواقعة شمال مدينة ماري . (١٩) ، حيث استخدمت الخيول كهدايا ثمينة تبادلها الملوك والامراء من زمن مملكة ماري ، وكانت مملكة قطنا الى الشمال من ماري ، من مراكز تربية وتكثير الخيول وتجارتها . (٢٠) وبسبب ندرة الخيول ، او ربما ندرة الانواع الجيدة منها ، وغلاء اسعارها وكلفة تربيتها ، فأنها بقيت تجارة محتكرة لصالح الملوك والامراء . (٢١)

ورغم تأكدنا من سحب الخيول لعربات الاحتفالات الدينية ، لكن استخدامها بجر العربات بشكل عام لم يكن مجهولاً ، وذلك ما يتضح من فحوى رسالة الى زمري ـ لم ينصحه احد حكامه بعدم ركوب عربة تجرها الخيول ويفضل عليها العربة التي تجرها البغال . وقد يرجع سبب ذلك الى عدم إتقان المران اللازم في استخدام الخيول فضلاً عن تميز البغال بهدوئها وتحمل المشاق . ٢٢ ويتأكد لنا سحب الخيول للعربات ايضاً من تقاليد البابليين في استخدام الخيول البيضاء لسحب عربة مردوك خلال الطريق المقدس في بابل (٢٣)

وهكذا تكشف لنا نصوص ماري وكرانا عن معرفة واسعة بالخيول المدجنة وانها استخدمت لجر العربات الملكية والاحتفالات الدينية بالدرجة الرئيسية ، مثلما تؤكد لنا القوالب الطينية التي اشرنا اليها من قبل على استخدام الحصان للركوب ولكن بدرجة اقل ، بخاصة وان مهارات ركوبه وتجهيزه للركوب لم تكن متطورة بالشكل الذي يجعل من ركوب الخيل أمراً موازياً لدورها في سحب العربات .

ويؤكد لنا هذا السياق في استخدام الخيل ما جاء في عدد من الحكم والحكايات السومرية ، حيث تبين منها استخدام الخيل للركوب اولاً ، ولكن ذلك كان معرضاً للخطر ، فيرد على لسان احد الاشخاص الذي طرحه حُصانه ارضاً ما يلي : «اذا كانت رحلتي دائما على هذا المنوال سأصبح ضعيفاً (٢٤) ومما تجدر الاشارة اليه زمن هذا النص الذي ينسب الى عهد زمري ـ لم .

ورغم كون اشارة التوراة عن دخول المسيح الى اورشليم وهو راكب على ظهر حمار (متى : ٢١ / ١ ـ ٧ ؛ يوحنا : ١٢ / ١٤) تصب في الاتجاه المعاكس الذي يجعل من ركوب الخيل امراً نادراً ومقتصراً على الاستخدامات الخاصة ، لكن الالواح الطينية التي استعرضها موري في بحثه تؤكد انتشار استخدام الخيل للركوب (٢٥)» .

اما العربات ، فأن معظم الدلائل المتوفرة ، سواء سحبت العربة من قبل الحصان ام الاخدر او البغل ، تشير الى أنها كانت عربات احتفالية او عربات الملوك والامراء وهم يتنقلون عبر مسافات قصيرة ، ولا نعرف اشارة الى استخدام العربات لاغراض الحرب من هذه الفترة . (٢٦)

وعندما بدأت الخيول تسحب العربات فأنها ابعدت الحيوانات الاخرى المخصصة للسحب ومنها الاخدر ، حيث ان العربات الطقوسية او عربات الاحتفالات الدينية كانت تجرها حمر الوحش العراقية (الاخدر) عادة منذ عصر فجر السلالات . (٢٧)

في ضوء الذي عرضناه نجتهد في رسم الخطوات التالية لبدء وكيفية معرفة العراقيين للخيول : ـ

١ ـ عرف العراقيون الخيول المدجنة من زمن سلالة اور الثالثة وكانت حيوانات نادرة وغالية الثمن وتكلف تربيتها كثيرا .

٢ ـ بدأ استخدامها في جر عربات الاحتفالات الطقوسية وعربات الملوك والامراء لقطع مسافات قصيرة مع عصر آيسن لارسه وبقيت من الحيوانات النادرة وغالية الثمن بدلالة حيازتها وتجارتها واهدائها من قبل الملوك والامراء .

٣ ـ بدأ ترويض الخيل لاغراض الفروسية خلال هذه الفترة ، ولكن اقتضى ذلك بعض الوقت لتطوير المهارات الخاصة بركوبها وتهيئة المعدات ومستلزمات ركوبها لتصبح من حيوانات الركوب الممتازة وليبدأ بذلك عصر الفروسية في العراق القديم ، الذي

19-ibid

20-ibid.

21-ibid.

22-ibid. P. 164-65

23-ibid. P. 162

24- Gordon, E.I. «Sumerian Animal Proverbs and Fables- Collection Five» Jcs., Xll,(1958) P. 19

25- Moorey: P. 48

26- ibid. P. 159

27- Speiser, op. cit. P. 70

نرجح شيوعه مع اواخر الالف الثانية ق . م . على ايام قيام الدولة الاشورية .

ان السؤال الاخير الذي يتعلق ببدء معرفة العراقيين للخيل ، يتمثل في كيفية دخول الخيل الى العراق ، وهل دخلته بحالتها البرية ام المدجنة ؟ (٢٨) ورغم صعوبة البت في هذا الموضوع لكن التسمية التي اطلقها العراقيون على الخيل لها دلالتها اللغوية في هذا السياق ، فأن لفظهANSE.KUR-RA

تترجم عادة الى «الحمار الجبلي» او «حمار الجبل» ، حيث يفيدها ذلك ضمناً في ناحيتين :

اولاً : تؤكد التسمية على معرفة العراقيين للحمار اولاً قبل الحصان .

ثانياً : هناك علاقة بين الحصان وبين المناطق الجبلية شمال وشمال شرق العراق .

كما ان زمن معرفة العراقيين للخيل وهو زمن سلالة اور الثالثة ، يقترن بنشاطات تجارية بدأها العراقيون مع بلاد الاناضول ، حيث كانت القبائل الحثية والحورية تدخلها وتستقر في اقسامها الشرقية والوسطى . (٢٩) وبسبب هجرة هذه الاقوام من مناطق اواسط اسيا ومناطق السهوب فالراجح انهم دخلوا الاناضول ومناطق شمال وشمال شرق العراق بخيولهم ، حيث عرفت طريقها تدريجيا الى مراكز التجارة في بلاد وادي الرافدين (٣٠) وقد كانت ماري وكرانا واشور من ابرز هذه المراكز ذات العلاقة التجارية الواسعة مع مراكز الاناضول والتي كانت كانيش من اهمها . (٣١) ورغم كون الحمار حيوان النقل الرئيسي للمواد التجارية ما بين العراق والاناضول لكن الخيول تسربت تدريجيا مع مواد التجارة الى اعالي الفرات ومنطقة الخابور ، حيث كانت مدن كركميش وقطنا وماري والتي كانت بدورها على صلة تجارية وسياسية واسعتين بمدن كرانا وجفار بازار واشور وغيرها (٣٢) .

وتورد النصوص اسماء مدن في منطقة كانيش بالاناضول ، على انها من مدن تصدير الخيل الى ماري (٣٣) حيث كانت هذه المناطق ذات طبيعة جغرافية تشبه اقاليم السهوب ، وهي من افضل الاماكن لتربية الخيل وترويضها ، وللاسباب البيئية ايضاً شاع استخدام الخيل في شمالي العراق اكثر من مناطق الوسط والجنوب .

٣ ـ العلاقة بين الخيل وبين الاخدر والحمار والبغل !

ابتداءً نحسم موضوع العلاقة بين الخيل وبين البغل ، فالبغل حيوان هجين ينجم عن تسفيد الحمار للفرس واسمه باللغة الانكليزية Mule ، وهو الشائع والمعروف . ولكن قد يسفد حصان اتاناً ، فينتج عنها نغلاً ، واسمه باللغة الانكليزيةHinny . وقد عرف اول الامر في العراق . (٣٤)

ولان النتاجين يكونان عادة بعد استئناس الخيول والحمير ، لذلك تبرز اهمية العلاقة بين الاخدر وبين الخيل ، وبخاصة وانهما يقتربان في الشكل والحجم كثيراً ، كما لا نعرف اشارة عن تلاقح يقع بينهما ، وربما يرجع سبب ذلك للطبيعة الوحشية التي تغلب على الاخدر .

فما هو الاخدر : يقول ابن سيده بخصوصه ما يلي :

«الاخدري منسوب الى العراق ، الاخدري والاخدرية من الحمير ـ هو من نسل حمار او فرس يقال له الاخدر ، كانت فيما بين كاظمة والبصرة . تزعم العرب ان اباه كان فرساً من خيل تبع ضرب في هذه الحمير في الجاهلية ولا ادري الاخدر هو الفرس او الحمار ابن الفرس غير ان الحمير تسمى ببنات اخدر . (٣٥)

ومما يدعم رأي ابن سيده في الاصل العراقي لهذا النوع من الحمير ما ذهب اليه بحث حديث بخصوص تدجين النبات والحيوان ومواطن تدجينها وتاريخ ذلك حيث ينسب اول واقدم تدجين للاخدر في موقع جرمو في العراق وذلك بحدود الالف السابعة ق . م . (٣٦) .

28- Moorey, op. cit. P. 36

٢٩ ـ جرني ، أ . ر . الحثيون . ترجمة محمد عبد القادر محمد . مطبوعات البلاغ ـ القاهرة ١٩٦٣ ص ٣٧

30- Moorey, op. cit. P. 47

13- Dalley, S. PP. 3-7, p:27 note no. 3

32- ibid. P. 161-162

33- ibid. P. 162

٣٤ ـ فيصل دبدوب : «الخيول العربية» مجلة بين النهرين ٤١ ـ ٤٢/١٩٨٣ ص ٩٧ فما بعد ؛

Moorey, op. cit. P. 38

٣٥ ـ ابن سيده : المخصص . طبعة اولى . بولاق ـ مصر ١٣١٨ هـ ج ٨ ص ٤٧

36- Berger and Protsch: op. cit. P. 225

ومما يهمنا في موضوع الاخدر ماكشفت عنه التنقيبات في ام الدباغية ، وهو موقع اثري يبعد قليلا الى شمال غرب مدينة الحضر ، حيث كانت نسبة ٦٩ ٪ من عظام الحيوانات فيه تعود للاخذر . وبذلك فهو اكثر المواقع الاثرية في الشرق الأوسط توفراً على عظام الاخدر . وكان لحمه يشكل الجزء الأعظم من اللحوم المستهلكة في هذا الموقع ، ولايوجد دليل على تدجينه رغم كون اهل ام الدباغية دجنوا عدداً من حيوانات العصر الحجري الحديث ، ولكن بقي صيده من مصادر الغذاء الرئيسية في الموقع . (٣٧) .

واتماما للفائدة نقل وصف زينوفون للاحوال البيئية لاواسط الفرات حيث يقول « ان الارض منبسطة والشيح فيها وفير ، وكان القصب وجميع الشجيرات النامية هناك ذات رائحة ذكية كالعطر . لم تكن هناك اشجار بل كانت هناك حياة حيوانية منوعة ، كانت حمر الوحش بوفرة كما كان النعام والحباري والغزلان بكثرة . وقد تصيد الفرسان كل هذه الحيوانات مرات عديدة . وتعدو الحمر الوحشية اسرع من الخيول ، وكان لحم الحمر اشبه بلحم الضباء ، الاانه اكثر طراوة . ولم يفلح احد في اقتناص النعامة . (٣٨) .

ومن احدث المعلومات عن الاخدر مايذكره المنقب البريطاني لايارد بشأنه ، فقد شاهد قطيعا من(حمر الوحش في طريقه من سنجار الى تلعفر في عام ١٨٤٦ م ، وانها في الركض كالغزال واللحاق بها عمل شاق ولايعرف الا فرس (او اثنتين) اشتهرت بتمكنها من ذلك . ويقنص العرب احيانا صغار الحمر في الربيع ويربونها على الحليب في الخيم ، وقد سعيت ان احصل على زوج منها . ولون الحمار بلون الخشف (فرخ الغزال)قريب من اللون الوردي الفاتح ، ولايزال العرب ياكلون لحم حمر الوحش (٣٩) .

وهناك دمية للاخدر جاءتنا من تبة كورا ، تؤرخ بالفترة العبيدية (حوالي الالف الرابعة ق . م .) (٤٠) . والراجح الان ان الحيوانات التي كانت تسحب العربة في مقبرة اور هي من نوع الآخدر . (٤١) . وتاكد للباحثين بان الحيوانات التي تسحب العربات في لوحة راية اور (وهي لوحة تذكارية سومرية من منتصف الالف الثالث ق .م . موجودة الان في المتحف البريطاني) هي من نوع الاخدر آيضا . (٤٢) . كما ان العربة البرونزية من تل اجرب (وهي من معروضات القاعة السومرية في المتحف العراقي ببغداد) . والتي يرقىٰ زمنها الى النصف الاول من الألف الثالث ق . م . كانت تسحبها اربعة من حيوان الآخدر او حمر اعتيادية لكنها ليست خيولا بالتاكيد . (٤٣) .

والمهم في هذا السياق التاكيد على معرفة العراقيين للعربات عامة والعسكرية منها على وجهة الخصوص قبل معرفتهم للخيول . ولكن يبقى السوال المهم حول الموضوع يتمثل في كيفية تمييز الآخدر عن الحصان . ان المخلفات الأثرية ، وبخاصة صور الحيوانات في المنحوتات البارزة للقصر الشمالي في نينوى ، وهو من مشيدات الملك آشوربانيبال ، قدمت دلائل وبيانات تفصيلية جسمت موضوع الفصل والتميز بين أشهر واقدم حيوان للسحب والركوب في العراق القديم وهو الآخدر وبين الخيول التي دخلت العراق وشاع استخدامها في وقت لاحق . (٤٤) .

---

٣٧ ـ ساندر بوكوني : «البيئة الحيوانية لموقع ام الدباغية» ترجمة ميسون حسو .
سومر ـ ١٩٧٤/٣٠ ص ٣٣٥ ـ ٣٣٧

٣٨ ـ زينوفون وحملة العشرة الاف : ترجمة يعقوب افرام منصور . الموصل ـ العراق ـ ١٩٨٥ ص ٥٩ .
زمن الحملة اواخر القرن الخامس ق . م .

39- Layard, A. H.: Nimeveh and its Remains. London. 1849,uol.I. P.325

نقلت عن : فؤاد سفر : البيئة الطبيعية القديمة في العراق .
سوومر ـ ١٩٧٤/٣٠ ص ٧

40-Goff, P. Laura: Symbols of Prehistoric Mesopotamia New Hoven and Landon- 1963. Fig. no. 210

41- Speiser : op. cit. P. 70 .

٤٢ ـ پارو ، أ : سومر . ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي .
بغداد ـ ١٩٧٨ . ص ١٩٦

٤٣ ـ نفس المصدر . ص ٢٠٢

44- Moorey: op.cit. P.37.

انظر ايضاً پارو : اشور . اللوحة (٧٢) حيث نصادف مشهداً لعدد من حمر الوحش (الاخدر) يطاردها صيادون تساعدهم كلاب الصيد . انظر ايضاً :

Stromenger,Eva: The Art of Mesopot amia. London. 1964

اللوحة ٢٥٩ الاخدر واللوحات ٢٥٦ ـ ٥٨ للخيول . وهي افضل الصور على الاطلاق التي تقدم تفاصيل التميز بين الحيوانين وذلك بفضل براعة النحات الاشوري وجسن ادائه لاعماله الفنية

أن من ابرز مواصفات الهيئة العامة وشكل الاخدر هي اذنيه ، التي تكـون أقصر من أذني الحمار ، وراسـه كبـير الشبـه بـراس الحصان ، وهو السبب في الخطا الذي يقع فيه كثير من الباحثين عند التميز بين الآخدر وبين الحصان . لذالك فانه أبرز خاصيتين للتميز بينهما تتمثلان في الذنب وشعر أعلى الرقبة . فشعـر اعلى الرقبة عند الاخدر قصير ويتميز بـالانتصاب ، بينـما ميزة نفس الشعر عند الحصان الطول حتى انه بسبب طوله يتدلى على جانب الرقبة . أما ذيل الاخدر فبدايته قليلة الشعر ينتهي بفروة كثة ، وهو آقصر من ذيل الحصان الذي يتميز بغزارة الشعر من بدايته حتى النهاية . (٤٥) وبموجب هذه الفروقات أمكن تمييز الحيوان العراقي الرئيسي الـذي أستخدم للسحب والـركوب ، وبقيت أعداد كبيرة منه في حالتها البرية تملأ البوادي الغربية وتفتح شهية الصيادين بسبب طراوة لحمه الشهي أو لأغراض الرياضة ، وربما للغرضين في آن واحد .

أن جميع الدلائل تشير الى الآخدر وليس الحصان في المخلفات الآثرية العراقية للفترة التي سبقت الآلف الثانية ق .م . لذلك فلا مجال للشك في ان دمية خفاجي التي أشرنا اليها من قبل ، حيث انها الـوحيدة التي يعتقـد أنها لحصبـان ، هي الاخـرى لحيـوان الاخدر ، كما أن جميع القرائن الاثرية واللغوية تضع بدء معرفة العراقين للخيل مع أواخر الالف الثالثـة ومن عصر سلالـة أور الثالثة على وجه التحديد .

٤ـ أستخدام الخيل وتاريخ الفروسية في العراق :

هناك أمر يحتاج الى مزيد من التقصي والبحث يتعلق باستخدام الخيل في العراق القديم . فاذا كانت الخيول قد دخلت العراق مدجنه ، فلماذا لم تدخل معها طرائق ركوبها واعدادها حيث ان الملاحظ على بدايات أستخدام الخيل ان النـاس قلدوا في ذ لك أستخـدام الاخدر ومن قبله الثـور ، وبخاصـة في تثبيت حبـل القيادة . فهل يحتمل أن يكون ترويض الخيل وتدجينها وقع في منطقة مامن فلوات البوادي الشـاسعة الكـائنة مـابين العـراق والشام والاناضول؟ ، اي في مناطق الفرات الوسطى والعلوية ، حيث عرفنا أنها كانت من أشهر مناطق تربية الخيول وتجارتها على مطلع الألف الثانية ق .م . وعلى العموم ، فرغم صعوبة الأجابة على هذا السؤال في حدود المعلومات المتوفرة ، ولكن ستكشف لنا سبل أستخـدام الخيل ومعـداتها في العـراق القـديم عن أهميـة هـذا الموضوع .

تشـير المعلومـات المتيسرة الى استخـدام الخيـل في سحب العربات وفي الركوب . وان الصور القليلة التي حفرت على بعض الأختام تظهر حبل القيـادة يشد أنـوف الحيوانـات التي تسحب العربات ، مع تعذر أمكانية تشخيص نوع الحيوان . ولكن سواء كانت الحيوانات خيولا أم حمراً وحشية أسيوية (الاخدر) فالمهم في هذه الرسوم طريقة قيادتها بواسطة حبل يربط الى حلقة معدنية تمر في الحد الفاصل بين منخري الحيوان ، وهي الطريقة التي تتوضح جلية في صور بعض الخيول التي يمتطي ظهورها فرسان .

أن هذه الطريقة في قيادة الفرس تسربت دون شك عن طريقة قيادة الأخدر ومن قبله الثور . (٤٦) . وكما هو واضح في رايـة أور ، فان الحيوان يقـاد بحبل واحـد ، وفي نموذج معـين أمكن التـوضح من حبلين للقيـادة (٤٧) . مـع العلم أن الـدلالات اللغوية تشير الى حلقة الانف وحلقة الفك في آن واحد . (٤٨) .

أما عن كيفية ركوب الفارس فوق ظهر جواده ، فكما يكشفه قالب طيني لخيال ، فهو يجلس فوق مؤخرة ظهر الحصان ، وهي الطريقة التي تناسب ركوب ظهر الأخدر والحمار ، وغير مناسبة للفـارس والفرس . كـما نجد الخيـال يثني ساقيـه لتكون قـدماه ملامسة لجسم الفرس ، ربما ليدفعها الى الجري السريع عن طريق ركلها بقدميه ويمسك الفارس بيده اليسرى حبـل القيادة الـذي يتدلى واضحا أسفل رقبة الحيوان ، تشد نهايته حلقة معـدنية ، وهي الاخرى واضحة ، تعبر منخري الحيوان ، كما يستند بيسراه ايضا على ظهر الحصان لموازنة نفسه عند الجري . أما يده اليمنى فهي مدفوعة الى الوراء قليلا ويمسك بها عصا تـلامس مؤخرة الفرس . ويشاهد أيضا عند نهاية الرقبة من الاسفل شكل كروي يوحي بانه حليه او جرس ، كما يتبين بوضوح حزام عريض يشد جسم الفرس عند مقدمتها ، ولانعرف هل أن الجزء الظاهر من الحزام هو من عدّة كانت توضع على ظهر الحيـوان أثناء ركـوبه لتقليل الاحتكاك بين جسمي الفارس والفرس أم أنها موضع ثابت يتشبث بـه الفارس ويـوازن جسمه عنـد الجري ، مثلما يفعـل الفارس حاليا عندما يمسك بمقدمة قوس السرج .

أن الصورة التي نعرض لها ان تؤكد ركـوب الفارس ظهـر

45- Moorey: op. cit. P. 37

46- ibid. P. 41

47- ibid.

48- ibid. P. 42

حصان ، وذلك بدلالة شعر أعلى رقبة الحيوان المتدلي على جانبها وكذلك غزارة شعر ذيل الحيوان في كل اقسامه . (٤٩) .

وهناك لوحة ثانية تكشف عن فارس على ظهر حيوان لايمكن التعرف على نوعه بسبب تلفها ، ومهما كان نوع الحيوان فالمهم في هذا الشكل ان الفارس يمتطي ظهر الحيوان بنفس الاسلوب الذي شاهدناه في اللوحة السابقة .

وهناك صورة خيال في لوحة ثالثة ، تتاكد كون الحيوان فيها حصاناً بدلالة شعر أعلى رقبته وذيله . يجلس الفارس فيها فوق منتصف ظهر الحصان ويثني ساقيه حيث أختفى قسم منها أسفل حزام عريض يشد جسم الحصان امام موضوع جلوس الفارس .

أما حبل القيادة فيشد بحلقة في أنف الحيوان ، كما تتضح صورة الجرس او الدلاية عند النهاية السفليةللرقية . ولكن يمين الفارس التي كانت في حالة الصورة الاولى تمتد الى الوراء وتمسك بالعصا ، فانها في لوحتنا هذه تمسك بمقدمة السير او الحزام العريض الذي يشد جسم الحيوان . ويبدو من وضعية جسم الحيوان وجسم الفارس الذي يركبه ، أن الفارس يسحب الفرس للوراء ربما أستعداداً للانطلاق ، بينما كشفت الصورتان السابقتان عن خيول في حالة الجري .

أن الامر الملاحظ في صور هذه اللوحات ، حجم الخيول الصغير بالقياس الى حجم الفارس ، فهي بذلك لايزيد حجمها كثيرا عن حجم الحصان من نوع Poney ، (٤٩) ، وقد شهدت الخيل متغيرات فسلجية في حجمها وارتفاعها ووزنها بعد مرحلة تدجينها ، وذلك تبعا للظروف الجديدة في البيئات المختلفة التي إنتقلت اليها (٥٠) ولهذا السبب تتميز الخيول الاوربية ببداتتها وغزارة شعرها وقصرها بالقياس الى الخيول العربية ، التي ميزتها الرشاقة وتناسق الاعضاء وطول قوائمها . فيستفاد من الاولى لاغراض السحب والحمل ، بينما أشتهرت الخيول العربية بسرعة الجري . ولكن متغيرات معاكسة طرات على الخيول الاوربية عند وصولها الى آيسلندا في أيام الفايكنج ، حيث كانت من النوع الثقيل ، ولكنها تبعا للاحوال البيئية غير الملائمة في وطنها الجديد تحولت الى نوعPony . (٥١)

لقد اشرنا من قبل الى تواريخ هذه اللوحات ، وقلنا آنها تمتد ما بين اواخر سلالة اور الثالثة والى العهد البابلي القديم . (٥٢) وعليه وبموجب تاريخ هذه اللوحات ، فان معلومات نصوص ماري وكرانا التي تتحدث عن معدات ولوازم الخيل ، تعد مهمة ومفيدة فيما له علاقة باستخدام الخيل .

يذكر أحد نصوص ماري المواد التالية «٣٠ واقيات صدر من النوع الممتاز ، قطعتان من نسيج قطني أوكتاني ، قطعة نسيج من نوع Hirum للمقعد . ٤ ازواج مشابك(بزيمات) ٤ أزواج من السيور الممتازة . زوج من أغطية عين جلدية» ،(٥٣) ، أن هذه المواد يمكنها أن تفيد لتهيئة الخيول لسحب العربات بخاصة وأن أغطية العين لانجدها على صور خيول الفروسية . وبسبب أنعدام تسمية اللجام وأقسامه بين مستلزمات تهيئة الخيل للركوب أو السحب ، يبدو واضحا ان طريقة القيادة بواسطة حلقة الانف بقيت شائعة في الفترة الاولى لأستخدام الخيل ، وأن اللجام لم يعرف إلا مع أواخر الألف الثانية ق .م . رغم ما أحدثه أستخدام اللجام من تطور في تسيير عربات الحرب . (٥٤) .

ومع توفر دلائل الفروسية والاستفادة من ظهور الخيل للركوب ، ولكن أقتصرت الاستفاذة الرئسية من الخيول في الشرق عامة بادي الامر على سحب العربات عامة والعربات العسكرية منها بوجه خاص ، حيث حل الحصان في عمله هذا محل الثور والاخدر والحمار . (٥٥) والنتيجة النهائية التي بمقدور المتتبع أن يستنتجها بخصوص أستخدام الخيول وتقاليد ترويضها والاستفادة منها ، أنه رغم كون الخيل حيوانات أوراسية دخلت الى مناطق الشرق الآذنى بحدود أواخر الألف الثالث ق .م . وهي مدجنة ،ولكن مبادىء أستخدامها للفروسية أو لسحب العربات مع كل المستلزمات التي تقتضينها هاتان العمليتان ، أنما أستندت الى التقاليد المتوارثة في هذه المناطق منها التعامل مع الثيران أو الحمير أو الاخدر ، مع ما أصاب هذه التقاليد من تطور تدريجي أقتضته عوامل عديدة ، منها ذات علاقة بالخصائص الطبيعية للحصان نفسه.(٥٦) فمثلا بقي الفرسان الاشوريون الى أواخر تاريخ دولتهم يمتطون ظهور جيادهم دون مساند لأقدامهم

49- Dalley, S.: op. cit. P. 163. Fig. no. 50

50- ibid. P. 162

51- Brothwell and Higgs: op. cit. P. 269

52- ibid. P. 269

53- Moorey. op. cit- P. 41

54- Dalley, S.: op. cit. P. 162

55- ibid. P. 163

56- Broth well and Higgs: op. cit. P. 268

(الركاب) . كما ركب الفرسان الاوائل فوق الاقسام النهائية لظهر الحصان في تقليد واضح لطريقة ركوبهم للحمر ، رغم كونها غير ملائمة للحصان بسبب خصائصه التشريحية .

ومثلما تطور الحصان بايلوجيا في البيئة العربية ليشكل السلالات العربية المتازة من الخيول . فان كثيراً من المهارات والتقاليد والاجهزة الخاصة بالركوب ، أنما واصلت تقاليدها القديمة مثلما كانت مع حيوانات النقل والسحب والركوب ، وتطورت تبعا للمتغيرات الكثيرة التي اصابت شعوب الشرق الادنى القديم